ان مكرهم اوهن من ان تزول منه امر الذي هو اثبت واقوى من الجبال الراسيات فلا تحسبن قوله
مثل قوله انا لننصر رسلنا يعني ان المراد بالوعد قوله تعالى في غير هذا الموضع انا لننصر رسلنا وقوله
كتب الله لاغلبن انا ورسلي ويحتمل ان يكون المراد به ما يفهم من قوله في هذا الموضع وعند الله مكرهم
فانه على كلا التقديرين يدل على ان الله تعالى يجازيهم على مكرهم وينصر رسله عليهم قوله واصله مخلف
رسله وعده لان فعل الاخلاف يتعدى الى مفعولين اولهما الموعود له وهو هنا الرسل ومن حق المفعول الاول
ان يتقدم على الثاني يقال اخلفه ما وعده وهنا قدم المفعول الثاني واضيف اليه المفعول اسم
الفاعل تخفيفا نحو كاسي جبة زيدا فهلا اتعدى الفعل اليهما لم ساد بالتقديم والتاخير قوله ايذانا بانه
لا يخلف الوعد اصلا اعترض عليه لما رسله مفعولا كان اخلاف الوعد معتدا به سواء قدم على الوعد او اخر فلم يكن
اخلاف الوعد مطلقا ثم يتد برسله واجيب بان المفعول الاول حقه التاخير فلما قدم دل على انه اهم
والعناية به اتم فالمقصد الاصلي من الكلام ليس الا اخلاف الوعد والذي سيق له الكلام ليس الا بيان انه تعالى
ليس من شانه خلف الوعد وانما نفي خلف وعد الرسل فهو شيء متفرع على ذلك لانه لما لم يكن من شان الله تعالى اخلاف
الوعد كان عدم اخلافه وعد من هو خيرته وصفوة عبيده ثابتا له وثابتا بالطريق الاولى ونظيره في تقديم
المفعول الثاني على الاول للاهتمام بشانه قوله تعالى في سورة الانعام وجعلوا لله شركاء الجن فانه قدم الشركاء
سوقا على ان المقصود الاصلي استعظام اتخاذ الشركاء ونفي شركة الجن تابع لهذا المقصود متفرع عليه قوله
قرن بعضهم مع بعض بحسب تجانس ما اكتسبوه من العقائد الزائغة والملكات الباطلة المتجانسة من حيث الجزاء
ايضا يجمع اصحابها فان الجنسية سبب لاجتماع الامور المتجانسة والكافر قرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة قال تعالى
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والغاشي من سواد التبيل كانه يتبع ويتاثر بامره حشر معه
مقرونا في سلسلة واحدة اويقع ما اكتسبه من العقائد الزائغة والملكات الباطلة التي هي بمنزلة الشيطان بالنسبة اليه
في كونها سببا لما دينه نفسه منها وخروجها عن الاعتدال اللائق بها والثالث قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال
اما حسبه واما على ان يكون الايدي والارجل عبارة عن الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء بطريق اطلاق اسماء
الاسباب على الامور المكتسبة بتلك الاسباب ويكون مقارنة تلك الامور الى الرقاب عبارة عن الزامها انفسهم
اما تقارنت الشيء بالشيء اذا وصلته به وجاء هو على التشديد لكثرة اولئك القوم فان بناء التفعيل قد يكون
لكثرة المفعول نحو فتحت الابواب والاصفاد جمع الصفد وهو القيد قال عطاء يريد سلاسل الحديد والاغلال وكل ما شددته شدا وثيقا فهو صفد
الواحد الصفد والصفاد وجمعه اصفاد وفي الصحاح صفده يصفده صفدا اي اوثقه وكذلك
التصفيد والصفاد ما يوثق به الاسير من قد وقيد وغل والاصفاد القيود وبيت سلامة يدل
انه اطلق الصفاد على ما يتناول كل واحد من الغل والقيد فان الغل يوضع على اليد والعنق والقيد يوضع على
الرجل وظاهر البيت يدل على ان صفادا … يعض ويجمع … فكانه نوع من … الغل

٢٧٧

الغل يجمع فيه الرجل واليد ويشد ان على العنق وزيد الخيل اسم رجل من قبيلة طي قدم على النبي
صلعم وسماه عليه السلام زيد الخير ومات منصرفه من عند النبي صلعم … قوله وبرزوا معطوف على قوله
تبدل الارض وهو ماض يراد به الاستقبال كقوله تعالى ونادى اصحاب النار قوله مقرنين حال
من المجرمين ان كانت الرؤية بصرية ومفعول ثان لها ان كانت علمية وفي الاصفاد اما ظرف لغو متعلق
متعلق بمقرنين او ظرف مستقر متعلق بمحذوف حال من ضمير المجرمين وقوله سرابيلهم من قطران
حال ثانية من المجرمين او حال من الضمير في مقرنين وكذا قوله وتغشى وجوههم النار عطف على
على الحال لانها حال والواو للحال لانه مضارع مثبت الا ان الاخير يحتمل ان يكون مقدرتان او جملتان
مستانفتان لا محل لهما من الاعراب منقطعتان عن حكم الرؤية لان قوله مقرنين بيان حالهم في
الموقف الى ان يكتب بهم في النار والحالان الاخيران لبيان حالهم بعد دخولهم النار كان قوله مقرنين حرك
من السامع ان يقول واذا كان هذا شانهم وهم في الموقف فكيف حالهم وهم في جهنم خالدون فاجيب بقوله
سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع في قوله وتغشى ولم يجعل جملة اسمية كما قبله لاستحضار الحال والدلالة
على تجدد الغشيان حالا فحالا قوله وجاء قطران لغتين فيه بينان قراءة العامة قطران بفتح القاف وكسر
الطاء وجاء فيه لغتان غيرها احدها قطران بفتح القاف وسكون الطاء على وزن سكران والاخرى
قطران بكسر القاف وسكون الطاء على وزن سرحان وهو يتحلب اي يستخرج من شجر يسمى الابهل
والعرعر ايضا فيطبخ ويطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب وحدته والسربال القميص وسربلته فتسربل اي البسته
السربال على وزن سرحان وجمعه سرابيل فلذلك قال المص قمصانهم وهو جمع قميص ويحتمل ان يكون قوله
سرابيلهم من قطران استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه الهيئة الحاصلة لجوهر النفس من احاطة الملكات
الردية والهيئات القبيحة بها بحيث يترتب على تلك الاحاطة اغتمام النفس بانواع الغموم والالام بالهيئة الحاصلة
من تسربل البدن سربالا من القطران بحيث يترتب على ذلك التسربل ما ذكره من الانواع الاربعة للعذاب وهي
لذع القطران بحرارته وحرقه ووحشة لونه قوله وعن يعقوب قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء على
وزن رام فيكون قطران كلمتين والقطر النحاس او الصفر المذاب والاني اسم فاعل من انى يانى اناء اي تناهى
في الحرارة قال تعالى وبين حميم آن قوله اي وتتغشاها اي تتغشى على قراءة وتغشى بتشديد الشين ان تحمل الكلمة
على المضارع بحذف احدى التائين لتوافق القراءة المشهورة فيكون تفعل بمعنى فعل نحو تكبر بمعنى كبر كان غشاه بمعنى
غشيه فقوله تتغشاها بمعنى تعلوها وتغشيها قوله كما تطلع على افئدتهم يعني انه تعالى خص القلوب والوجوه
فيهما فان في القلب … التي تطلع على الافئدة وقال في الوجه وتغشى وجوههم النار لان الحكمة
في خلق المكلفين انما هي معرفة ربهم وخالقهم بمعاينة بدائع كمال علمه وقدرته واستعمال المشاعر والحواس المجتمعة
في الرأس والوجه فانه محل الحواس الظاهرة والباطنة التي منها الفكر والوهم والمتخيلة ليؤدي استعمالها المعرفة التي

Copyright © King Saud University